مطبعة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درسا في مدينة الجزائر في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٢١ وفيه تفصيل طويل لما أجملناه في هذا التفسير المختصر فمن أراد بيانا أوسع ، وتفصيلا أبدع ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظيره ، اهـ أقول اننا طبعناه بالقطع الصغير ليوضع في الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام في تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ ـ تفسير جزء عم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجه أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف في عدة شهور وهذا شيء لم يعهد له نظير في المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأما مقالاته التي نشرت قديما وحديثا في الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جدا وكلها آيات بينات في العلم والدين والادب نفع الله بها وأعاننا على احيائها (للسيرة بقية)

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية ـ لصاحب الامضاء

بقية الكلام في النبوة

أليست العقائد الاسلامية أنزه العقائد وأبعدها عن مخالفة المعقول والوحيدة في قوة الحجة ومتانة البرهان (انظر ما تقدم في المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها أجلى بيان . أليس في العبادات والاوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين

والدنيا. أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية ما لم يخطر على قلب بشر في ذلك الزمن وفي تلك البلاد. ماذا يكون قول العامي اذا ذكر شيئاً عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الاوهام ونحن في القرن العشرين للمسيح فما بالك إذا كان في القرن السادس فكيف لم يدخل ما يذكره العامة من الخرافات في القرآن ولم يذكرها محمد فيه اعتقاداً منه لها وجرياً على ما كان عليه معاصروه. فكم ذكرت هذه الاشياء في القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يرد عنها إلا كل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين فكيف تحاشى محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل. هل يعرف العامي الامي من العرب في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها هذا كر وأنثى وهو الامر الذي لم تقل به العلماء إلا في الزمن الاخير (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) مع ان العرب لم تكن تعرف ذلك إلا في النخيل. هل يعرف العامي أن القمر ليس مضيئاً بذاته ويدرك ان الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هذا فيقول (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر للنور ويصف الشمس وحدها اتفاقاً بذلك كقوله أنها سراج ونحو ذلك. هل كان احد في ذلك الزمن يعتقد دوران الارض حتى يرد في القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) وليس ذلك في يوم القيامة على الاصح إذ قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله «صنع الله الذي اتقن كل شيء» لا يناسب مقام الاهلاك والابادة هل كان احد يدرك الفرق بين جعل النهار الذي هو من حركة الارض مجلياً للشمس والليل غاشياً لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التعبير (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) والذي اتعب المفسرين زمناً ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركها كما كان يتنظر من مثل هذا العربي الامي.

من من العامة يدرك أن صغر القمر وكبره حسب ما نشاهده ليس الا لاختلاف منازله بالنسبة إلى الشمس لا لان حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب). يظن العامة أن المطر آت من الجنة أو من الملكوت الاعلى أو من عالم غير عالمنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي إن المياه بأنواعها التي نستعملها

خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء البحار كما يتوهمون . فهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة في التعبير والصدق في العبارة والاشارة الواضحة الى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل أو معمولا عليها في زمنه

هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغيرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يستشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشروقها وأفولها . أليس ذلك عالما تتيه به عظماء الفلاسفة الابد الجهد والعناء الكبير

هذا وإن القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والامثال الصحيحة على وجه وتعبير يذهل الفيلسوف الحكيم بدنه دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الامي . فهل تقول بعد ذلك كله إن سماع النبي لخلط من جاوره من الناس الجهلاء وهوسهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم

فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يحصي المسائل كما عدها القرآن وان يأتي بأصح الآراء وأقومها في المعتقدات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع مافيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة في ارشاد الناس اليه كما فعل محمد عليه السلام وأن يحترس من الوقوع في زلة واحدة وان يخبر عن بعض اشياء في المستقبل بفكره وقريحته بحيث لا يخطيء فيها وان يأتي ببعض مسائل علمية لا يعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم تعهده الناس من قبل ويكون في درجة من البلاغة لا يجاريها أحد وأن يقلب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فبعد ان كانوا أعداء صاروا اخواناً وبعد ان كانوا عابدين للاوهام صاروا علماء وبعد ان كانوا اضعف الامم صاروا اقواها وسادتها في مدة قليلة لو كلف بهذا كله لاقر في الحال بالعجز واعترف بالضعف فما بالك اذاً بالنبي العربي الذي نشأ بينها فقيراً اميا في وسط الجهل والوثنية في زمن العمى والظلام تحتاط به الخرافات من كل جانب والاباطيل من كل مكان امتزج حوله الحق بالباطل واختلط الصدق بالكذب يسمع قولا حقاً مرة وكاذبا مجانبه مرات فلا يمكنه ان يميز احدهما عن الآخر لعدم علمه . تشبث في فحصه الآراء وتضاربت في نفسه الاقوال فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الالهي حتى جاءه الوحي الرباني فمحص الحق ورفض الاباطيل وقرر الصدق وازهق الاكاذيب .

واعتمد في دعواه على الحجج البينات لا على الاكاذيب فأعظم به من نبي ختم الله به الانبياء واكرم به من رسول طار ذكره في السماء صلى الله عليه وسلم

بقي علي أن اذكر شيئاً عن اخلاقه بعد ان خضعت له الملوك وهابته الجبابرة وانتشر اسمه في سائر الآفاق . هل ظنني وبني وانهمك في الملاذ ؟ كلا ثم كلا . ملك ملكاً واسماً ولكنه ما فارقه الزهد والتقشف طول حياته مات ولم يترك الا شيئاً زهيداً وأوصى أن يكون صدقة لامته لم يتغير حلمه وعفوه ورأفته ورحمته بالناس بل زادت . اقتصر على زوجته العجوز الى ما بعد الاربعين كما قلنا سابقاً حتى توفيت ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة وتزوجها وهي فتاة تكاد أن لا تشتهي فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة وكان غرضه من تعددهن القيام بكفالتهن لفقرهن أو عدم وجود من يقوم بشؤونهن كمن فقدت بعلها في حرب أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من أصحابه لكبر سنها وليس للنبي أن يشير على أحد بتزوج بعضهن لئلا يأخذها مضطراً في زواجها فلا يحصل بينهما وفاق . وكان الغرض في زواج بعضهن ايجاد الرابطة بينه وبين أهليهن أو تعزية بعضهن على فقد زوج كانت تتفانى في حبه أو ابطال عادة من عادات الجاهلية الى غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في أخبارهن فشفقة بهن ورحمة لهن كان يتزوجهن ولا يمكنه أن يبقيهن في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن من غير حق أو بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه الشهوة لكن من حسان الابكار لا الثيبات المسنات فمن كان هذا شأنه لا يتصور أنه كان يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا والا لوجدته بعد نجاحه متكبراً جباراً منتقماً فظاً غليظ القلب متعالياً في نفسه محتقراً لغيره فأين هذا كله ممن كان متواضعاً متقشفاً يخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويطوي على الجوع ليالي راضياً بالقليل وحيا بالناس لطيفاً يحترم كل أحد حسب منزلته حليماً لا يغضبه جهل الجاهل ولا قلة أدب الوقيح . يعفو ويصفح عمن أساء اليه . اذا احتاج يقترض المال حتى من اليهود وكثيراً ما أوذي بسبب ذلك فالله أكبر ما أجل شأن النبوة وأرفعها عما يرميه به الجهلة من الناس هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو المعول عليه في هذا الباب والسند الاقوى للنبي

في دعواه وأما ماظهر على يديه من خوارق العادات فلم يكن عليه السلام يعتمد عليها كثيراً فلنا ضربنا صفحاً عن اطالة البحث فيها وغاية ما نقول ان هذه المعجزات ليست من المستحيلات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد نقلها الثقات نقلا متصلا صحيحاً وتواتر بعضها بحيث ان الانسان ان شك في بعض أفرادها لا يمكنه ان يشك في مجموعها . وامثال هذه المعجزات كانت الحجة الكبرى والدليل الوحيد للانبياء السابقين مع امهم . ذلك لان الانسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تفعل نفسه الا بما وقع تحت حسه ولا يتأثر الا بما كان تحت لمسه ولما بلغ رشده وارتقى ارتقت ادلة النبوة كذلك واتاه الله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي وجعل المعجزة الكبرى في اتيان الامي بما أتى به مما فصلناه وعجز البشر جميعا عن الاتيان بمثله واما المعجزات الاخرى فلم يكن يرادبها الا تثبيت الذين آمنوا بالحس بعد ان اقتنعوا بالعقل وإلزام المعاندين الذي علقوا ايمانهم على رؤية هذه الخوارق ولما لم يؤمنوا عند ظهورها ما كان يجيبهم الى طلب غيرها الان من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك اذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة . وهذا الذي قلناه هو ما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء . والخلاصة ان الدليل قسمان حسي وعقلي اما الحسي فانه اشد تأثيراً على النفس وافعل في القلب واما العقلي فانه اصح واعم فائدة وذلك لانه متى احكمت مقدماته ونتائجه فلا سبيل لتطرق الشك اليه وكل من تصوره صدق به بخلاف الحسي فلا يؤثر الا على من نظره بعينه ويتطرق اليه شبهات كثيرة كالمشعوذة والتدليس والحيل وكلما كان الانسان بسيطا كان فعله في نفسه اشد

ولما كان محمد عليه السلام خاتم الانبياء ومرسلا الى الانسان بعد بلوغه رشده ودعوته ليست قاصرة على زمن او مكان كان الاليق ان تكون حجته عقلية من ان تكون حسية . وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فآتاه في زمن طفوليته بما يناسب بساطته وفي زمن كهولته بما يوافق رقيه ودرجة عقله كالاب الحكيم يحمل ابناءه في صغرهم على الدرس باعطائهم المكافآت كالحلوى والصور وفي كبرهم يتبين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم فالانسان بالبنة الجسمية ادرك قمة تقلبه وتخلص من سائر القيود وابى ان يخضع لسلطان او يحتال عليه حتى

وقام ينفض ما على جسمه من غبار التقليد ونظر بعقله الى ما حوله من الموجودات واستخدمها وهكذا سار في طريق الاصلاح الى ان بلغ الكمال ان شاء الله تعالى

ولنختم هذه المقالة باختصارها في كلمات معدودة فنقول:

كل من اتى باصلاح في الارض من قبل الله تعالى فهو نبي ومحمد قد اتى بالاصلاح من قبله تعالى فهو نبي والدليل على ان اصلاحه من عند الله انه ليس مستمداً من معلومات من جاوره من الناس كما بيناه آنفا وان ما اتى به لا يقدر البشر على الاتيان بمثل جزء منه اذ لو كان مقتبساً من علمهم لكانوا اقدر على الاتيان بذلك قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله)

اذاً القرآن كتاب الله وكل ما فيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه لنحوز سعادة الدنيا والآخرة. (محمد توفيق صدقي طبيب بسجن طره)

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

المكتوب الثاني

من إراسم الى «إميل»

فراق الولد لوالديه سنة فطرية — العلم في ألمانيا — نقد التلميذ ما يقرؤه من أفكار غيره — القصد في علوم المعقولات نفع الامة بالقيام بالواجب على قدر الطاقة — اختيار الولد العمل الذي يشتغل به بعد — بيان انه لا حرية لامة يتكالب شبانها على تولي أعمال الحكومة — التحذير من الملحدين — بيان ان الرأي العام لا قيمة له الا اذا كانت الحكومة شورى — خدمة الامة لذاتها لا للجزاء

لوندره في ١٣ فبراير سنة ١٨٦

اذا كنت يا عزيزي «أميل» تألم من استيحاشك فنحن نألم من فراقك ولكن يجب علينا التسليم والرضا بما لا بد منه واعلم انه لو كان في وسعي أن أبرح لوندره وأخلف من أقوم

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر